رجال الصوفية

للأستاذ عبد العزيز سعد فرج
واعظ مركز منفلوط

١ — ابن عطاء الله السكندرى :

هو تاج الدين أبو الفضل أحمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى الصوفى الشاذلى . أجمع المؤرخون على أنه كان مالكى المذهب عدا الشيخ تقى الدين السبكى الذى قال : أراه كان شافعى المذهب وقل كان مالكياً . .

رحل - رحمه الله - من الاسكندرية إلى القاهرة طلباً فى العلم وحباً فيه فنبغ فى علوم التفسير والحديث والنحو والفقه ، وظل زماناً بعيداً عن التصوف إلى أن اتصل بالشيخ أبى العباس المرسى الذى آلت إليه شياخة الطريقة الشاذلية .

ويصل تاريخ ابن عطاء الله اتصالا وثيقاً بتاريخ أستاذه أبى العباس وتاريخ مؤسس الطريقة التى ينتميان إليها — أعنى أبا الحسن الشاذلى — فإن ابن عطاء الله كان الوارث الحقيقى للشيخ أبى العباس المرسى الظاهر بعلمه وحاله المظهر لطريقته الناشر لتعاليمه . كما كان أبو العباس الوارث الحقيقى للشيخ أبى الحسن الشاذلى الظاهر بعلمه وحاله المظهر لطريقته المفسر والمجمل والمبسط لتعاليمه . يقول الشاذلى فى أبى العباس : « يا أبا العباس . يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا ، وأنا أنت » . . وقد تحققت هذه الوحدة الروحية بين الشيخ ومريده فى حال صحبة الشاذلى وأبى العباس كما تحققت فى حال صحبة أبى العباس وابن عطاء الله وظهرت فى الحالتين الوراثة الروحية الكاملة .

ويتصل تاريخ الحياة الروحية لابن عطاء الله وشيخيه بتاريخ التصوف بوجه عام فى القرنين السادس والسابع الهجريين ، وهما القرنان اللذان أعقبا موت الإمام الغزالى رضى الله عنه وطبع فيه التصوف بطابع خاص

ظهر أثره فى طائفة الشاذلية كما ظهر فى تعاليم غيرها من طوائف الصوفية الأخرى فقد أوسع الإمام الغزالى مجال التصوف وجعل منه أساساً روحياً للدين الإسلامى الحنيف فأصبح من بعده القوة المحركة للمسلمين والنهج القويم الذى ينهجونه فى سلوكهم وعباداتهم . ومنذ عهد الغزالى اعترف أهل السنة بالتصوف ، وكذلك أصبحت تعاليم الصوفية فى تهذيب النفس وآداب الطريق الأساس الذى بنى عليه المسلمون مذهبهم الخلقى ، واتخذ الصوفية كتاب الله وسنة رسوله الأساس ، واتبعوا نفس المنهج الذى نهجه الغزالى فخلعوا على الإسلام خلعة صوفية ، وكان من آثار هذا أن ظهرت الصوفية المنظمة التى انخرط فى اتباعها الكثير يسترشدون بنورها ويهتدون بهديها ويسيرون على منوالها .

ظهرت فى العراق الطريقة القادرية — طريقة عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ رضى الله عنه — والرفاعية — طريقة أحمد الرفاعى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ رضى الله عنه — وظهرت فى مصر الطريقة البدوية — طريقة السيد أحمد البدوى المتوفى سنة ٦٧٥ هـ رضى الله عنه — وفى تونس ثم فى مصر طريقة أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه المتوفى سنة ٦٥٦ هـ — وفى تركيا طريقة المولدية لجلال الدين الرومى المتوفى سنة ٦٧٣ هـ وغيرها .

لم يكن ظهور هذه الطرق فى هذين القرنين السادس والسابع من طريق الصدفة إنما كانت هذه الطرق تطبع التصوف بطابع السنة والسير على نهجها والتأدب بآداب الشرع والأخلاق والصفات الدينية الحميدة ، ولا عجب أن يجذب التصوف الآلاف من المريدين المتعطشين للروحية الخصبة التى تتفق وروح الإسلام ومبادئه الخالصة السمحة بل تستند إلى أصوله وتعاليمه .

ولا عجب أن تظهر الطرق الصوفية وعلى رأسها أمثال عبد القادر الجيلانى وأبو الحسن الشاذلى وأبو العباس المرسى ممن اقتفوا آثار الغزالى وجعلوا همهم الوعظ والإرشاد واستخلاص المعانى السمحة السهلة من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة الحميدة .

والذى يهمنا من كبار رجال الصوفية هو الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لأنه صاحب الطريقة التى ينتمى إليها الشيخ ابن عطاء الله السكندرى بوساطة الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه . والحقيقة أن

العـــالم الأسلامى لم يشهد طبقة من المرشدين العاملين والمخلصين القانتين ومن نفوذ أثرهم فى النفوس ووصول محبتهم للقلوب أمثـــال الشاذلى وأبى العباس وابن عطاء الله رضى الله عنهم . ولقد كان أبو العباس من أخص أصحاب أبى الحسين الشاذلى وأقربهم إليه وأحفظهم لعهـــده ، وكذلك كان ابن عطا الله السكندرى بالنسبه لشيخه أبى العباس .

ولقد أفاد ابن عطاء الله بالتأليف فى التصوف وله مؤلفـــات قيمة فى تاريخ التصوف وتاريخ الطريقـــه الشاذلية وحكمه ومؤلفاته لها القدح المعلى فى الآداب الاسلامية الرشيدة التى لو سار الناس على نهجها وعملوا بما فيها لسعدوا فى دينهم ودنياهم لأنها من معين السنة الصافيه ومن قبس النور المحمدى الكريم . توفى رضى الله عنه وأجزل مثوبته بالمدرسة المنصورية بالقاهرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ هـ ودفن بالقرافة بجبـــانة سيدى على أبى الوفاء شرقى جبانة الأمام الليث رضى الله عنه .

من الأدب الصوفى

طبقـــات النـــاس

قال الامام أبو نصر السراج الطوسى :

« الناس فى الأدب على ثلاث طبقات ، أما أهل الدنيا فاكثر آدابهم فى الفصاحة والبـلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك واشعـار العرب . وأما أهل الدين فاكثر آدابهم فى رياضة النفس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات .

وأما أهل الخصوصية فاكثر آدابهم فى طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهد ، وحفظ الوقت ، وحسن الأدب فى مواقف الطلب ، وأوقات الحضور ، ومقامات القرب »